

يا يسوع الناصري

الوحيددة التي اقتربت منك كثيراً حتى دوام دموعي هي كتلة الشهداء. أنت وحدك في تاريخ البشرية لم يستطع واحد من اعدائك الذين وضعوا كتباً ضدك منذ العهد الروماني حتى عصر التنوير وما بعده، لم يستطع واحد ان يرى فاصلاً بين ما قلته لتلاميذك وما عشته.

في نصوص أناجيلك العظة على الجبل عند متى ولوقا والخطاب الوداعي عند يوحنا ذروتان لا يستطيع أحد إن قرأهما فاهماً أن يبقى بعد قراءته كما كان قبلها. غير ان دراسة نصوص اخرى، هنا وثمة، لا تجعل كل انجيلك أعظم روحياً من كتب اخرى. هناك صفحات في الفكر الديني من قبلك ومن بعدك أجمل تعبيرياً وأعماق ذكاء من الذي قلته انت. ففي الدنيا التمعات وجدانية أخاذة لا نجد في انجيلك على قوة نشوتها. والناس يسكرون بسحر اللغة وباللقطات النازلة عليهم كالنيازك . ولكن ليس هكذا يقرأ إنجيلك، كله من ألفه الى يائه مرتبط بالدم الذي سكبته على الخشبة. انت ما سعيت الى فصاحة فأنت نجار وعشير صيادين. لا يهملك ألق الكلمات. لا شيء يدل على انك كنت تتقن البلاغة فاذا الناس جاؤوا اليك بفضل منها عليهم لا يكونون قد جاؤوا الى الله المختفي بين لحمك وعظامك.



الحب، يا سيدي، طاقة الله وحده. ولكنك أنزلته أنت على صعيد البشر فباتوا قادرين، بعطف منك، على ان يحيوه. ان في المحبة جوانب كثيرة. ولكن من أهم ما يلفتني انا صاحب هذا الدعاء انها بين البشر ناطقة بالغفران وفاعلته. انت سامحت اليهود لانهم ما كانوا يعلمون ما يفعلون. انت تطلب من أتباعك الأكثر اذ تريدهم ان ينفروا لمن عمل لأذاهم ولمن يخطط باستمرار لتجريحهم والافتراء عليهم. انت تقول: هذا الذي عمل لإسقاطك وإسقاط مشاريعك قاصداً عامداً لكون نفسه أمارة بالسوء هذا عليك ان تغفر له بلا شرط فيه ولا تطلب منه أو منك. وذلك كله لأنك تريده من أبناء الملكوت وتربده أعظم منك الآن وغداً لأن الملك لأبناء الله جميعا وهو مفتوح ليدخله اللصوص والقتلة لأن هؤلاء هم أيضاً احباؤك ولأنني قد أكون واحداً منهم بعلم واضح مني أو بجهل. ان نغفر باستمرار ولا نقيم مكانة لما يسمى الكرامة أي المجد الباطل، هو لعمرى من أهم ما يشدني اليك يا سيد القلوب المجروحة بلطفك والتواضع.

يا يسوع الحلو جداً اسكن قلوب الفقراء والمشردين في الأرض، التابعين لك ومن لم يسمع منهم بك. كلهم لك بحبك الواحد لهم. رافق الأطفال الذين يهملهم ذووهم الى كل الرجاسات. خفف وطأة الأمراض الشديدة. عالج عزلة الحزانى. كن وثاماً ووحددة للمتزوجين ومربياً لأطفالهم. خذ اليك هذه الشعوب التي يسميها أعزاء الأرض متخلفة. انها حدقة عينك يا مخلصي. قل للمظلومين انك جئت لترفع القهر عنهم. انك ضد القاهر حتى يتوب.

امسح يا سيد كل دموع عن عيوننا حتى يزول البكاء عن وجه الأرض ويكون الفرح مثل قيامة.

المطران جورج خضر

لن يكتبك احد يا سيدي. انت كتبت الكون بدمك. كان وحده هو النطق، المطرح الذي عرفنا فيه ان فرادة الله ان يحب. نحن اليك بسبب من تلك الحرية التي ازلت بها من طبيعة الدين العبودية اذ قلت اننا أحبة وان لنا جسرة على أبيك لكوننا اصحاب البيت.

أنت تقول كل ما في أحشاء أبيك، تترجم الأحشاء ومنها يأتي كل شيء فيه حنان ويأتي الى جوف الألم، الى قاع كل جحافل الخطاة فتمسك رحمانية أبيك بعيوننا لنرى الحقيقة الأخيرة ان الله باعثك لتقوله مسمراً على الخشبة، لتقوله في ما يبدو ضعفه.

لقد رفضت النزول عن الصليب لأنك لو فعلت لظلوا يرون ان الله يؤتيهم برهاناً بأية منه وانت لا تريد لهم آية الا هذه الشلحة على الخشبة. بهذه الميتة دخلت اللعبة التي أرادها لك الشيطان اذ ظن انه سيقضي عليك بالموت الذي هو نطاقه. هو ما كان عارفاً ان أحداً من الناس يتطوع للموت حباً وان الحب قادر وحده على ان يقضي على الموت.

ما من شاعر في العالم يقدر على ان ينظم قصيدة حب كهذه التي قلتها باوجاعك وبدمك. قيل للانسانية التي كانت تعيش قبل الميلاد الى جنوبنا انها مودودة ربها. غير ان الناس لم يصدقوا أو ما استطاعوا ان يصدقوا لأنهم كانوا رازحين تحت نير الشقاء، شقاء خطاياهم ولم يحلموا ان الله هو القدير على ان يرفع عنهم الأحمال التي كانت تثقل نفوسهم.

كل البشر كانوا يعلمون ان الله قادر على ان يزلزل الدنيا وان يسيط الانسان على الوحوش الكاسرة، لكن أحدا لم يكن يعرف حقا وبدقة انه حبيب الله وانه مؤهل بهذه المحبوبة لأن يكون أعظم من الكون وأفعل من كل عناصره.



يا يسوع الناصري اذا سمحت لحظة من لحظات الرياضة العقلية ان أفكر فيك مستقلاً عن ايماني بك لقلت للناس العارفين بحضارات الشعوب ان أحدا قبلك ومن بعدك وعلى جنباتك لم يتكلم على المحبة كما تكلمت أنت. كلماتهم كانت توصيات خلقية لطيفة أقرب ما تكون الى الشعر. انت قلت: "وصية جديدة أعطيتكم ان تحبوا بعضكم بعضاً كما أنا أحببتكم". قد نجمع من حوارات افلاطون ودائمة افلوطين شيئاً يشبه المحبة. وقد يجد المرء ما يشير اليها في أساطير الشرق القديم. قد لا تكون مجدداً بصورة كلامية كاملة مع اني لا أعرف في الأدب القديم الديني منه أو الأدبي من تكلم بهذا الزخم وهذه الشمولية اللذين أتيا على لسانك.

غير ان هذا ليس هو الأعظم. فالأعظم انك قلت: "كما أنا أحببتكم" أي اني احببتكم حتى النهاية، حتى الموت. وفوق ذلك وأبهى من ذلك كله انك كشفت محبتك للبشر في واقع لحمك ودمك. أنا لا أعرف ابن امرأة لم تكن هوة صغيرة أو كبيرة فاصلة بين كلامه وفعله. لنأخذ التيار الذي أطلقته انت وسمى اعداؤك اتباعه في انطاكية مسيحيين ليحتقروهم. أنا درست سيرة أتباعك الكبار وقرأتهم جيداً. كلهم صفار اذا قيسوا بك. كل القديسين صفار. الكتلة